

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

[الانفطار: 17 - 19]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

الانتقال من بيان
أحوال يوم الدين
ومصير الخالدين
فيه إلى تمجيده
وتعظيمه

لَمَّا ذَكَرَتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ تَقْسِيمَ الْخَلْقِ إِلَى أَتْرَابٍ وَفُجَارٍ، وَتَحَدَّثَتْ عَنْ جَزَاءِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي يَوْمِ الدِّينِ؛ جَرَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ يُعَادَ التَّنْبِيهُ إِلَى هَوْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ وَعِظَمِ شَأْنِهِ؛ فَبَاءَ الْإِسْتِفْهَامُ الْمُعْظَمُ الْمَكْرَرُ؛ لِيُفَتِّ السَّمَاعُ إِلَى أَنَّ مَا سَبَقَ مِنْ وَصْفٍ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ لَيْسَ كَافِيًا لِلْإِحَاطَةِ بِحَقِيقَةِ ذَاكَ الْيَوْمِ، بَلْ مَا خَفِيَ أَهْدَى وَأَعْظَمُ.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿أَدْرَاكَ﴾: (دري) أصلٌ يَدُرُّ عَلَى قَصْدِ الشَّيْءِ وَاعْتِمَادِهِ طَلَبًا⁽¹⁾، وَمِنْهُ الدَّرَايَةُ، وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ الْمُدْرَكَةُ بِضَرْبٍ مِنَ الْخُتْلِ، يُقَالُ: دَرَيْتُهُ، وَدَرَيْتُ بِهِ دَرِيَّةً، وَالْمَبْنِيُّ عَلَى صِيغَةِ (أَفْعَلُ) لِلتَّعْدِيَةِ، يُقَالُ: أَدْرَى يُدْرِي إِدْرَاءً؛ إِذَا أَعْلَمَ، أَوْ جَعَلَ غَيْرَهُ يَعْلَمُ، فَالْفِعْلُ أَدْرَى مَعْنَاهُ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ: جَعَلَكَ تَدْرِي، أَي: جَعَلَكَ تَعْلَمُ الشَّيْءَ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُهُ، وَأَدْرَاهُ بِهِ: أَعْلَمَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: 16]⁽²⁾، وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْأَسْلُوبُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا، وَيُسْتَعْمَلُ فِي مَقَامِ التَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ؛ تَنْبِيْهًُا عَلَى عِظَمِ مَا يُخْبَرُ بِهِ، وَكَوْنِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُدْرَكُ بِالْعَقْلِ أَوْ التَّجَرُّبَةِ، بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى وَحْيٍ خَاصٍّ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾﴾ [الدُّحُر: 27]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ﴿٢٨﴾﴾ [الْهَمِزَةُ: 5]، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ بِصِيغَةِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (دري).

(2) ابن سيده، المحكم: (دري).

الماضي (وما أدراك)؛ فَقَدْ عُقِبَ بَيَانِهِ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ ذُكِرَ فِيهِ بِصِغَةِ الْمُضَارِعِ - (وما يُدريك) - لَمْ يَعْقُبْهُ بَيَانُهُ⁽¹⁾، وَالْمَقْصُودُ بِهِ هُنَا: أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ لَا يُدْرِكُ حَقِيقَتَهُ أَحَدٌ إِلَّا إِذَا شَاءَ اللَّهُ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَشِدَائِدِ الْأَهْوَالِ، الَّتِي تُخْرِسُ الْأَلْسُنَ، وَتُذْهِلُّ الْعُقُولَ.

(2) ﴿وَالْأَمْرُ﴾: (أمر) أصلٌ يُدُلُّ عَلَى السِّيَادَةِ وَالتَّسْلُطِ، يُقَالُ: أَمَرَ يَأْمُرُ أَمْرًا؛ إِذَا أَصْدَرَ حُكْمًا أَوْ طَلَبًا يَجِبُ تَفْظِيذُهُ، وَمِنْهُ: أَمَرَ الْوَالِي، وَأَمَرَ السُّلْطَانُ، أَي: مَا يُصْدِرُهُ مِنْ قَرَارَاتٍ يُلْزِمُ بِهَا رَعِيَّتَهُ⁽²⁾، وَالْأَمْرُ يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْحُكْمِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّسْلُطِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: 54]، أَي: لَهُ الْإِيجَادُ وَلَهُ التَّصَرُّفُ، وَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ سُورَةِ الْإِنْفِطَارِ، فَالْمَقْصُودُ مِنْ (الأمر): الْحُكْمُ الْمُطْلَقُ وَالتَّدْبِيرُ التَّامُّ، الَّذِي لَا يُشَارِكُ فِيهِ أَحَدٌ رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ قَصْرٌ لِلْأَمْرِ قَصْرَ اسْتِثْنَاءٍ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الرَّهيبِ.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الدِّينِ، وَتَفْخِيمٌ لَهُ بِمَا يُثِيرُ فِي النَّفْسِ الشُّعُورَ بِالرَّهْبَةِ وَالْوَجَلِ⁽³⁾، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ أَسْلُوبِ الْاسْتِفْهَامِ الْوَاردِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فِي مَقَامِ التَّهْوِيلِ وَالتَّعْجِيبِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ إِذْ لَا يَبْلُغُ الْعَقْلُ - مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ فِطْنَةٍ - أَنْ يُحِيطَ بِحَقِيقَتِهِ، أَوْ يَتَصَوَّرَ مَآلَهُ، وَلِذَلِكَ كَرَّرَ التَّنْبِيهَ مَرَّةً ثَانِيَةً تَفْخِيمًا لِشَأْنِهِ، فَقَالَ: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، وَهُوَ تَكَرُّرٌ يُفِيدُ تَعَاظُمَ الْأَمْرِ، وَتَرَاكُمَ الْهَيْبَةِ⁽⁴⁾، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ بَعْضِ سِمَاتِ هَذَا الْيَوْمِ، فَقَالَ: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾، أَي: لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، وَلَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا جَاهٌ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ فِي هَذَا الْيَوْمِ

تَعْظِيمُ يَوْمِ
الدِّينِ

(1) الراغب، المفردات: (دری).

(2) الرَّاغَبِي، مَخْتَارُ الصَّحَاحِ: (أمر).

(3) السَّمَرْقَنْدِيُّ، بَحْرُ الْعُلُومِ: 3/ 555.

(4) الْوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 4/ 439، وَالسَّعْمَانِيُّ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ: 6/ 176.

لله ﷻ، فهو صاحبُ السُّلطانِ المطلقِ الذي لا يُنازَعُه فيه أحدٌ، ولا يُعارضُه مُعْتَرِضٌ، ولا يَرُدُّ حُكْمَه رادُّ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَوِيُّ والبلاغِيُّ:

دلالة الواو:

من تقريرِ المصيرِ
إلى تعظيمِ يومِ
الدينِ

الواوُ في قولِ الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ هي واوُ الاستِئنافِ، جيءَ بها لتفصيلِ ما أُجْمِلَ في قولِه: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾⁽¹⁾، فكانت مُمهِّدةً لاستِفهامِ تَفْخِيمِ يُظْهِرُ هَوْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ، ومعنى هذا الاستِئنافِ أَنَّهُ جُعِلَ انْتِقَالًا بَعْدَ إثباتِ المصيرِ إلى تصويرِ مَشْهَدِ الجَزَاءِ، فذلَّت الواوُ على أَنَّ الجملةَ الَّتِي بَعْدَهَا مُسْتَأْنَفَةٌ، لَيْسَتْ عَطْفًا على ما قَبْلَهَا في نَسَقِ الجُمْلِ المَسوقَةِ لوصفِ الأبرارِ والفجارِ، بَلْ هي إبرازٌ لمَقَامٍ آخَرَ، هو مَقَامُ التَّهْوِيلِ.

بلاغةُ الاستِفهامِ:

التَّهْوِيلُ
والتَّفْخِيمُ

الاستِفهامُ في قولِ الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ مَسوقٌ مَساقَ التَّهْوِيلِ والتَّفْخِيمِ؛ إذ لَيْسَ المرادُ طَلَبَ المَعْرِفَةِ، بَلِ المرادُ بَثُّ الرُّهْبَةِ في النَّفْسِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليَوْمِ، وإظهارُ أَنَّ العَقْلَ البَشَرِيَّ لا يَسْتَوَعِبُ حَقِيقَةَ شِدَّتِهِ وَعَظَمَتِهِ، فجاءَ هذا التَّرْكِيبُ على سَبِيلِ التَّفْخِيمِ لِلْمَسْئُولِ عَنْهُ، وَمِنْ هُنَا كَانَ في التَّعْبِيرِ تَفْتِيْتُ لِأَمْنِ المُكْذِبِينَ، وإدخالُ للرُّهْبَةِ على أَفئِدَتِهِمْ.

دلالةُ توجيهِ الخطابِ:

تَشْرِيفُ النَّبِيِّ ﷺ
وإنذارُ أُمَّتِهِ

تَوْجِيهُ الخِطَابِ إلى النَّبِيِّ ﷺ في قولِ الله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾، جاءَ على طَرِيقِ التَّشْرِيفِ لَهُ والتَّشْبِيهِ لَأُمَّتِهِ، فَإِنَّ الخِطَابَ لَهُ ﷺ في مِثْلِ هَذَا المَقَامِ إِنَّمَا المرادُ بِهِ جَمِيعُ المُخَاطَبِينَ؛ لِأَنَّ المُخَاطَبَ الأوَّلَ هُوَ القَائِمُ بالتَّبْلِيغِ، وإذا بُلِّغَ؛ صارَ الكَلَامُ كَأَنَّهُ مَوْجَّهٌ

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 265 / 30.

إِلَى الْجَمِيعِ⁽¹⁾، وَمِنْ لَطَائِفِ هَذَا الْخِطَابِ فِي مَقَامِ التَّخْوِيفِ أَنَّ فِيهِ إِشْعَارًا بِأَنَّ أَهْوَالَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِمَّا تَقْصُرُ الْعُقُولُ عَنْ إدْرَاكِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ بِكُنْهِهِ أَفْضَلُ الْخَلْقِ، فَكَيْفَ بِسَائِرِ النَّاسِ؟ فَبِذَلِكَ تَغْلِيبُ لِلإِنْدَارِ، وَتَشْدِيدُ فِي التَّهْوِيلِ.

دَلَالَةُ فِعْلِ الدَّرَايَةِ:

إِنَّ اسْتِعْمَالَ فِعْلِ الدَّرَايَةِ فِي مَقَامِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ دُونَ الْإِعْلَامِ مَثَلًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَقِيقَةَ يَوْمِ الدِّينِ لَا تَنَالُهَا الْعُقُولُ بِتَأْمُلٍ، وَلَا تَصِلُ إِلَيْهَا الْأَفْهَامُ بِمُجَرَّدِ التَّصَوُّرِ؛ لِأَنَّهُ فَوْقَ مَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُحِيطَ بِهِ بِالْفِكْرِ أَوْ الْخَبَرِ، فَإِنَّ أَهْوَالَهُ وَمَظَاهِرَ قُدْرَةِ اللَّهِ فِيهِ مِمَّا يَتَعَاَجَزُ عَنْهُ الْعَقْلُ، وَفِي هَذَا تَفْخِيمٌ لِشَأْنِ يَوْمِ الدِّينِ، وَتَشْدِيدٌ فِي التَّهْوِيلِ؛ إِذْ لَوْ جَاءَ التَّعْبِيرُ (وَمَا أَعْلَمَكَ)؛ لَكَانَ الْمَعْنَى مُنْصَرِفًا إِلَى مُجَرَّدِ الْإِعْلَامِ؛ أَمَّا إِذَا جَاءَ بِالدَّرَايَةِ؛ فَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْأَمْرَ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَصَوَّرُهُ الذَّهْنُ، وَأَنَّ الْعِلْمَ بِهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِإِخْبَارِ اللَّهِ تَعَالَى.

دَلَالَةُ الْعَطْفِ بِحَرْفِ التَّرَاخِي:

آثَرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ التَّعْبِيرَ بِحَرْفِ الْعَطْفِ ﴿ثُمَّ﴾، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ دُونَ الْوَاوِ؛ لِذِلَالَتِهِ عَلَى التَّرَاخِي الرَّتَبِيِّ⁽²⁾، فإِعَادَةُ جُمْلَةٍ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ هِيَ أَبْلَغُ وَأَشَدُّ فِي التَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ مِمَّا كَانَ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَالتَّرَاخِي هُنَا تَرَاخٍ فِي دَرَجَةِ التَّخْوِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، لَا فِي تَرْتِيبِ الزَّمَانِ، فَكَأَنَّ الْمَعْنَى: (مَا أَدْرَاكَ أَوَّلًا بِهَوْلِ يَوْمِ الدِّينِ؟ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ مَا فَوْقَ ذَلِكَ أَعْظَمُ وَأَشَدُّ مِمَّا تَصَوَّرْتَهُ أَوَّلًا)، وَهَذَا أَشْبَهُ بِتَرْقِيِ الْمُخَاطَبِ فِي مَرَاتِبَ مِنَ التَّهْوِيلِ لَا يَنْقَطِعُ زِيَادَتُهَا، وَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أَنَّ

الْغَيْبِيَّاتُ
طَرِيقُهَا الْوَحْيِي
لَا الْعَقْلُ

دَلَالَةُ التَّرَاخِي
الرَّتَبِيِّ فِي زِيَادَةِ
التَّهْوِيلِ

(1) الآلُوسِي، رُوحُ الْمَعَانِي: 15 / 271.

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30 / 184.

﴿ثُمَّ﴾ في هذا السياق للتدرج في إفادة التّهويل والتّفخيم، وهو أبلغ مما لو أعيدت الجملة بالواو.

نكتة تكرار ﴿مَا﴾:

**تأكيد الإبهام
وتعظيم الهول**

إن تكرار أداة الاستفهام ﴿مَا﴾ في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ جاء للتّنويع بشدّة الإبهام والعظمة في حقيقة يوم الدين، فكان الآية الأولى ألقت في نفس السامع أنّ ذلك اليوم ممّا لا يبلغه وصف ولا إدراك، ثمّ جاء التّكرار في الآية الثانية للتّنويع والتّأكيد على هذا الإبهام، وليشعر أنّ العقل إنّ أعاد النظر، وكرّر التفكير؛ فإنّه يعود إلى الحيرة نفسها، وفي هذا التّكرار زيادة تهويل وإثارة رهبة في النفوس؛ إذ المتلقّي إذا سمع السؤال، وأعيد عليه؛ انفتح قلبه على استشعار أنّ الأمر عظيم جدًّا، لا تستوعبه المعارف البشريّة.

بلاغة الإظهار:

**التأكيد على
هول يوم الدين
وعظمته**

جاء التعبير بإظهار ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ دون إضماره تأكيداً لهول يوم الدين وفخامته⁽¹⁾، فتكون إعادة ذكر ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ بصريح لفظه دون الاكتفاء بالضمير للتّهويل والتّفخيم؛ إذ إنّ المقام مقام تخويف وإنذار؛ فذكر الموصوف بعينه أبلغ في إثارة الرّهبة من إضماره.

فذكر المظهر مكان المضمّر جاء؛ ليكون وصف يوم الدين محلاً للاستفهام والتّعجب والتّهويل في كلّ مرّة؛ إذ لوقيل: (وما أدراك ما هو)؛ لضاع ما في التصريح من تجسيم وإثارة للرّهبة، فإظهار لفظ ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ إذا له وظيفتان: إعطاء الكلمة جرساً أقوى في السمع، وتبنيّت معناها في القلب على وجه الإرعاب والإنذار.

(1) الألويسي، روح المعاني: 271 / 15.

بلادة تكرار جملة الاستفهام:

إِنَّ تَكَرَّرَ جُمْلَةُ: «مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» بَعْدَ أَنْ سُبِقَتْ بِذِكْرِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ هُوَ مِنْ بَابِ التَّهْوِيلِ⁽¹⁾ والتَّفْخِيمِ لِسَانِ يَوْمِ الدِّينِ الَّذِي يُكَذِّبُونَ بِهِ، تَفْخِيمٌ إِنْ تَفْخِيمٌ، وَتَعْجِيبٌ مِنْهُ بَعْدَ تَعْجِيبٍ⁽²⁾؛ إِذْ جِيءَ بِالْأَوَّلَى لِإِثَارَةِ التَّشْوِيقِ وَتَوَجِيهِ الذِّهْنِ إِلَى هَوْلِ الْمَعْنَى، ثُمَّ أُعِيدَتِ الْجُمْلَةُ مَرَّةً ثَانِيَةً زِيَادَةً فِي التَّفْخِيمِ وَتَضْخِيمِ الْهَوْلِ، عَلَى نَحْوِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ مِمَّا لَا تَبْلُغُهُ الْعُقُولُ بِتَصَوُّرٍ وَلَا تَحِيْطٍ بِهِ الْأَوْهَامُ، فَالتَّكَرُّارُ هُنَا لِلتَّرْقِي فِي دَرَجَاتِ التَّهْوِيلِ، وَكُلُّ هَذَا يُرَادُ بِهِ التَّأَكِيدُ لِلْمَعْنَى الَّتِي كُرِّرَ بِهِ اللَّفْظُ⁽³⁾، وَتَجَاوُزُهُ حَدَّ الْوَصْفِ وَالتَّعْبِيرِ⁽⁴⁾.

علة الفضل:

فُصِّلَتِ جُمْلَةُ: «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» عَنْ جُمْلَةِ: «ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ»، مَعَ أَنَّهَا فِي مَعْنَى التَّفْسِيرِ لَهَا؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ تَفْخِيمٍ وَتَهْوِيلٍ، فَجُعِلَ التَّفْسِيرُ مُسْتَأْنَفًا كَأَنَّهُ خَبَرٌ جَدِيدٌ يُرَادُ الْقَاوِظُ بَعْدَ تَرْكِ الْمُخَاطَبِ فِي هَيْبَةِ الْمُبْهَمِ، فَلَوْ وُصِّلَتِ الْجُمْلَةُ بِالسَّابِقِ؛ لَكَانَ الْمَعْنَى إِفَادَةً شَرْحٍ عَادِيٍّ لِلْمُسْتَفْهَمِ عَنْهُ؛ أَمَّا وَقَدْ فُصِّلَتِ؛ فَقَدْ أُفِيدَ مَعَ التَّفْسِيرِ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ، يَسْتَحِقُّ أَنْ يُبَدَأَ بِالْخَبَرِ عَنْهُ فِي جُمْلَةٍ جَدِيدَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ.

توجيه قراءتي «يَوْمَ»:

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَيَعْقُوبُ «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» بِالرَّفْعِ، جَعَلُوهُ صِفَةً لِقَوْلِهِ: «يَوْمَ الدِّينِ»، وَيجوز أن يكونَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: (هُوَ يَوْمٌ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا)⁽⁵⁾، فَكَانَتْ

إِثَارَةُ التَّشْوِيقِ
وَالزِّيَادَةِ فِي
التَّفْخِيمِ
وَالْتَّهْوِيلِ

إِبْرَارُ عَظَمَةِ
يَوْمِ الدِّينِ بَيْنَ
التَّهْوِيلِ وَتَحْدِيدِ
الْعِنَايَةِ بِالْخَبَرِ

تَكَامُلُ الْقِرَاءَاتِ
فِيهِ تَعْظِيمٌ لِهَذَا
الْيَوْمِ

(1) الرَّمْخَشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 4 / 717.

(2) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْمَعَانِي: 15 / 271.

(3) ابْنُ قَتَيْبَةَ، تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ، ص: 150.

(4) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 30 / 184.

(5) أَبُو زُرْعَةَ، حُجَّةُ الْقِرَاءَاتِ، ص: 753، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ، النُّشْرُ: 2 / 399.

هَذِهِ الْقِرَاءَةُ مُفِيدَةٌ تَفْخِيمًا لِشَأْنِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بِإِفَادَةِ الِاسْتِثْنَاءِ
وَالْتَجْرِيدِ لَهُ مِنْ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالنَّصْبِ «يَوْمًا»، أَيِ:
(هَذِهِ الْأَحْدَاثُ الْمَذْكُورَةُ تَكُونُ «يَوْمًا لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا»)،
وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النَّصْبُ عَلَى الْإِغْرَاءِ، بِمَعْنَى: (الْزَمُوا، وَاحْذَرُوا «يَوْمًا
لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا»)، وَكَلَّمَا الْقِرَاءَتَيْنِ مَسْوْقَتَانِ لِلتَّهْوِيلِ
وَلِتَعْظِيمِ أَمْرِ الْحِسَابِ وَجَلَالِ الْمَوْقِفِ، وَهَذَا التَّنَوُّعُ فِي الْقِرَاءَةِ يَزِيدُ
السَّامِعَ إِحَاطَةً بِعَظَمَةِ الْيَوْمِ، فَيَرَاهُ تَارَةً مُبْتَدَأً جَلِيلًا يُبْدَأُ بِالْخَبَرِ
عَنْهُ، وَتَارَةً يَرَاهُ مُفَسَّرًا لِمَا سَبَقَ مِنَ الْإِبْهَامِ، وَفِي الْحَالَيْنِ تَتَرَسَّخُ
هَيْبَةُ ذَلِكَ الْمَشْهَدِ فِي النُّفُوسِ.

دَلَالَةُ «لَا»:

إِنَّ دَخُولَ أَدَاةِ النَّفْيِ «لَا» عَلَى الْفِعْلِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «لَا
تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا» يَدُلُّ عَلَى الْاسْتِغْرَاقِ فِي نَفْيِ مَلَكَهَ النَّفْعِ
وَالدَّفْعِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ فَإِنَّهَا نَافِيَةٌ لِكُلِّ مَلِكٍ وَلِكُلِّ مَمْلُوكٍ؛ لِتَظْهَرِ
الْقَطِيعَةُ التَّامَّةُ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ فِي مَقَامِ الْجَزَاءِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَا
كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ تَمْلِكٍ أَوْ تَسَلُّطٍ يَنْقَطِعُ هُنَاكَ، فَيَنْحَصِرُ الْأَمْرُ فِي
مُلْكِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ.

فَاسْتِعْمَالُ «لَا» دُونَ غَيْرِهَا - كَ (مَا) أَوْ (لَنْ) - هُوَ لِدَلَالَتِهَا
عَلَى تَجَدُّدِ الْحَالِ وَاسْتِمْرَارِهِ، فَكَأَنَّ الْقُرْآنَ صَوَّرَ الْمَشْهَدَ تَصْوِيرًا
مُتَكَرِّرًا أَمَامَ السَّامِعِ، فَتَجَسَّدَ مَعْنَى الْعَجْزِ الْكُلِّيِّ، وَاسْتُحْضِرَتْ
هَيْبَةُ الْمَوْقِفِ.

بَلَاغَةُ الْكِنَايَةِ فِي فِعْلِ «تَمْلِكُ»:

إِنَّ التَّعْبِيرَ بِالْمَلِكِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ
شَيْئًا» كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الْأَقْتِدَارِ وَسُقُوطِ سُلْطَانِ الْمُعَاوَنَةِ وَالِاحْتِمَاءِ،
فَلَيْسَ الْمُرَادُ نَفْيَ الْمَلِكِ الْحَسِّيِّ فَقَطْ، بَلِ الْكِنَايَةُ عَنْ بُطْلَانِ كُلِّ
سَبَبٍ كَانَ يَتَوَهَّمُهُ الْإِنْسَانُ سَبِيلًا لِلنَّجَاةِ، فَذَكَرُ الْمَلِكِ أُرِيدَ بِهِ

الاستغراق
في نفي النفع
والدفع في ذلك
اليوم

سقوط كل
مظاهر الملك
والملك للخلق،
وإثباتها للواحد
القهار

الْقُدْرَةُ عَلَى النَّفْعِ وَالِدَّفْعِ، وَهُوَ مِنْ مَجَازِ الْكِنَايَةِ الَّذِي يُذَكَّرُ فِيهِ
الْلَّازِمُ، وَيُرَادُ مَلَزُومُهُ.

فَمِنْ بَلَاغَةِ هَذِهِ الْكِنَايَةِ تَهْوِيلُهَا لِلْمَشْهَدِ؛ إِذْ تُصَوِّرُ الْإِنْسَانَ
عَارِيًّا مِنْ كُلِّ مَا كَانَ يَعْتَصِمُ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ قُرْبَى،
فَإِذَا أَبْطَلَ الْقُرْآنُ الْمَلِكَ - وَهُوَ أَصْلُ التَّصَرُّفِ - فَقَدْ بَطَلَ بِالتَّبَعِ كُلِّ
مَا سِوَاهُ مِنْ أَسْبَابِ الْعَطَاءِ وَالنَّصِيرِ.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالْمُضَارِعِ:

إِنَّ الِاسْتِعْمَالَ لِلْمُضَارِعِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ مَسْقُوقٌ لِاسْتِحْضَارِ الْحَالِ، كَأَنَّهُ مَرَّتِي مُشَاهِدٌ، فَيُصَوِّرُ
لِلسَّامِعِ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ، الَّتِي تُسَلَبُ فِيهَا كُلُّ نَفْسٍ سُلْطَانَ
التَّصَرُّفِ وَالِاقْتِدَارِ، وَالتَّعْبِيرُ بِالْمُضَارِعِ أَبْلَغُ فِي التَّهْوِيلِ؛ لِأَنَّهُ يَنْقُلُ
الْغَيْبَ إِلَى صُورَةِ الْمُحَاضِرِ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ تَقْرِيبٌ لِلْمُتَوَعَّدِ وَإِنْذَارٌ
لِلْمُخَاطَبِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُشْعِرُ بِاسْتِمْرَارِ الْحَالِ، أَيُّ: إِنَّ نَفْيَ الْمَلِكِ
لَيْسَ طَارِئًا فِي بَعْضِ أَطْوَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، بَلْ هُوَ ثَابِتٌ فِيهِ دَائِمٌ مُتَّصِلٌ،
لَا تَتَخَلَّلُهُ فُسْحَةٌ اسْتِثْنَاءً، وَلَا فُرْصَةٌ تَخْلُصٍ.

بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِالنَّفْسِ:

إِنَّ اخْتِيَارَ لَفْظِ النَّفْسِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ
شَيْئًا﴾ - دُونَ (أَحَدٍ) - يَحْمِلُ مَعْنَى بَلَاغِيًّا دَقِيقًا، فَإِنَّ النَّفْسَ أَقْوَى
فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الذَّاتِ بِحَقِيقَتِهَا الْمَجْرَدَةِ مِنْ مَقَامَاتِ الْجَاهِ أَوْ
السُّلْطَانِ أَوْ الْقُوَّةِ الَّتِي قَدْ تَتَعَلَّقُ بِاسْمِ أَحَدٍ فِي الْمُخَاطَبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ،
فَجَاءَ التَّعْبِيرُ بِالنَّفْسِ؛ لِيُشْعِرَ أَنَّ كُلَّ مَا فِيهَا مِنْ قُوَى أَوْ مَقَادِيرَ قَدْ
انْدَثَرَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الذَّاتُ الْإِنْسَانِيَّةُ، مُعْرَاةً مِنْ كُلِّ دَعَائِمِهَا، وَفِي
ذَلِكَ تَجْرِيدٌ لِلْإِنْسَانِ وَتَعْرِیَّةٌ لَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ يَعْتَصِمُ بِهِ فِي الدُّنْيَا،
فَلَا تَبْقَى إِلَّا نَفْسٌ مُفْرَدَةٌ تَوَاجَهُ مَصِيرُهَا دُونَ عَوْنٍ وَلَا نَصِيرٍ، وَهَذَا
أَبْلَغُ فِي التَّفْطِيعِ مِنْ قَوْلِ: (لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ)؛ لِأَنَّ فِي الْأَخِيرِ إِشْعَارًا

استحضار
المشهد وإفادته
الدوام

إبراز الفردية
وكمال العجز في
يوم الدين

بَعْمومٍ مُّجَرَّدٍ، يَبَيِّنُما في التَّعْبِيرِ بالنَّفْسِ تَفْرِيدٌ لِّكُلِّ ذَاتٍ، وَتَخْصِيصٌ لِّحَالِهَا الشَّخْصِيَّةِ، فَكَانَ التَّعْبِيرُ مَحْمُولًا عَلَى إِظْهَارِ كَمَالِ الْعَجْزِ، وَإِقَامَةِ صُورَةِ الْيَوْمِ عَلَى أَشَدِّ مَا يَكُونُ مِنْ إِبْرَازِ الْفَرْدِيَّةِ وَالانْقِطَاعِ عَنِ الْمَعِينِ.

نُكْتَةُ التَّنْكِيرِ:

إِنَّ تَنْكِيرَ لَفْظِ النَّفْسِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ جَاءَ لِلتَّفْطِيحِ وَالتَّهْوِيلِ؛ إِذِ الْمُقْتَضَى أَنْ يُقَالَ: (لَا تَمْلِكُ النَّفْسُ)؛ وَلَكِنَّ الْإِتْيَانَ بِالتَّنْكِيرِ أَفَادَ عُمُومًا مُّطْلَقًا يَتَنَاوَلُ كُلَّ نَفْسٍ عَلَى الْإِبْهَامِ، صَغِيرَةً كَانَتْ أَوْ كَبِيرَةً، شَرِيفَةً أَوْ وَضِيعَةً، فَفِي هَذَا التَّنْكِيرِ إِفَادَةُ الْعُمُومِ وَالتَّهْوِيلِ، بِخِلَافِ التَّعْرِيفِ.

دَلَالَةُ اللَّامِ:

اللَّامُ الْجَارَةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ هِيَ لَامُ الْاِخْتِصَاصِ وَالِاسْتِحْقَاقِ، أُدْخِلَتْ لِتُبَيِّنَ أَنَّ الْمُنْفَعَةَ أَوْ الْمَلِكَ الْمُنْفِي لَيْسَ مُطْلَقَ التَّمْلِكِ، بَلْ هُوَ التَّمْلِكُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ جَلْبُ النِّفْعِ أَوْ دَفْعُ الضَّرِّ عَنْ غَيْرِ الْمَالِكِ، فَالْمَعْنَى: (لَا تَقْدِرُ نَفْسٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنْ تَمْلِكَ شَيْئًا تَخْصُهُ لِنَفْسٍ أُخْرَى عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِيفَادَةِ)، وَبِذَلِكَ صَارَ فِي التَّعْبِيرِ إِفَادَةُ قَطْعِ كُلِّ سَبِيلٍ لِلشَّفَاعَةِ أَوْ الْمُسَاعَدَةِ مِنْ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ لِبَعْضٍ، فَكُلُّ نَفْسٍ قَدْ انْقَطَعَتْ عَنْهَا الْأَسْبَابُ، وَتَجَرَّدَتْ إِلَى عَدْلِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ، فَكَانَ فِي اللَّامِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ هُوَ يَوْمُ الْاِنْفِرَادِ النَّاتِمِ، لَا يَجِدُ فِيهِ الْمَرْءُ مَنْ يَخْدُمُهُ، أَوْ يُغْنِي عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا﴾ [الدخان: 41].

نُكْتَةُ التَّكْرَارِ:

إِنَّ تَكَرُّارَ لَفْظِ النَّفْسِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ دُونَ الْاِكْتِفَاءِ بِالتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَجْرُورِ بِقَوْلِهِ: (لَا أُخْرَى)؛ جَاءَ لِمُقْتَضَى الْبَلَاغَةِ فِي تَفْطِيحِ الْمَقَامِ وَتَهْوِيلِهِ، فَذِكْرُ

إِفَادَةُ عُمُومِ
الْعَجْزِ لِكُلِّ
نَفْسٍ فِي يَوْمِ
الَّذِينَ

قَطْعُ أَسْبَابِ
الْمُسَاعَدَةِ، وَتَقْرِيرُ
الْاِنْفِرَادِ يَوْمِ
الَّذِينَ

تَفْطِيحُ الْمَقَامِ
وَتَهْوِيلُهُ بِقَطْعِ
أَسْبَابِ الْعَوْنَةِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ

النَّكِرَةِ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ يَعُمُّ كُلَّ ذَاتٍ، وَإِعَادَتُهُ مَعَ الْمَجْرُورِ بِاللَّامِ تَقْطَعُ كُلَّ تَوْهَمٍ أَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْسٌ دُونَ أُخْرَى، فَيَصِيرُ الْمَعْنَى: (لَا تَوْجَدُ ذَاتٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ تَمْلِكُ لِذَاتٍ أُخْرَى - أَيًّا كَانَتْ - أَذْنَى مَنَفَعَةٍ).

وَمِنْ بَلَاغَةِ هَذَا التَّكْرَارِ أَنَّهُ يُحَدِّثُ فَاصِلًا بَيَانِيًّا يُفِيدُ الْمُقَابَلَةَ بَيْنَ النَّفْسِ الْفَاعِلَةِ وَالنَّفْسِ الْمَفْعُولِ بِهَا، فَيَتَجَلَّى الْانْقِطَاعُ النَّامُ فِي الْعَلَاقَاتِ الَّتِي تَرْبِطُ بَعْضَ النَّفُوسِ بِبَعْضٍ فِي الدُّنْيَا، وَأَيْضًا فَإِنَّ التَّصْرِيحَ بِالمُطَابِقِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ أَلْبَغُ فِي إِفَادَةِ عُمُومِ الْحُكْمِ مِنَ الْإِضْمَارِ أَوْ الْإِشَارَةِ؛ لِأَنَّهُ يُشْعِرُ بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ صَارَتْ مَفْصُولَةً مُسْتَقِلَّةً عَنِ الْأُخْرَى، لَا تُغْنِي، وَلَا تُغَاث.

بَلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِالمَفْعُولِ ﴿شَيْئًا﴾:

جَاءَ التَّعْبِيرُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ بِذِكْرِ لَفْظِ الشَّيْءِ نَكِرَةً فِي سِيَاقِ النَّفْيِ، وَفِيهِ تَعْمِيمٌ وَتَفْخِيمٌ لِلْمَعْنَى؛ إِذْ هُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ أَيْ شَيْءٍ كَائِنًا مَا كَانَ، قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا، جَلِيلًا أَوْ خَفِيرًا، وَذَلِكَ يُفِيدُ أَنَّ الْانْقِطَاعَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَ فِي الْأُمُورِ الْعِظَامِ فَحَسَبَ، بَلْ يَتَنَاوَلُ أَيْضًا أَذْنَى مَا كَانَ يَتَصَوَّرُ أَنَّ يَجْرِي بَيْنَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَطَاءٍ أَوْ نَفْعٍ.

فَلَفْظُ الشَّيْءِ اسْمٌ يَدُلُّ عَلَى جِنْسِ الْمَوْجُودِ، وَهُوَ مُتَوَعِّلٌ فِي الْإِبْهَامِ، يُفَسِّرُهُ مَا يَقْتَرِنُ بِهِ فِي الْكَلَامِ مِنْ تَمْيِيزٍ أَوْ صِفَةٍ أَوْ نَحْوِهِمَا، أَوْ مِنَ السِّيَاقِ، وَيُبَيِّنُهُ هُنَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ فِعْلُ: ﴿لَا تَمْلِكُ﴾ وَاللَّامُ، أَيِ: (شَيْئًا يُغْنِي عَنْهَا، وَيَنْفَعُهَا)، فَانْتَصَبَ ﴿شَيْئًا﴾ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ لِفِعْلِ: ﴿لَا تَمْلِكُ﴾، أَيِ: (لَا سَبِيلَ إِلَى أَنْ يَنْتَفِعَ أَحَدٌ بِأَحَدٍ فِي أَذْنَى مَظَاهِرِ النَّفْعِ)، وَهَذَا يُفِيدُ تَأْيِيسَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَنْ تَنْفَعَهُمْ أَصْنَامُهُمْ يَوْمَئِذٍ⁽¹⁾، فَالتَّعْبِيرُ ﴿شَيْئًا﴾ فِي غَايَةِ الْإِيجَازِ وَالِاسْتِعْرَاقِ،

إِفَادَةُ الْعُمُومِ فِي
انْقِطَاعِ الْعَلَائِقِ
يَوْمَ الدِّينِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 185 / 30.

يُفِيدُ نَفْيَ كُلِّ وَجْهِ الْمَلِكِ وَالْمَمْلُوكِ وَالْإِسْطَاعَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ لِيَزْدَادَ الْمَعْنَى تَهْوِيلًا وَتَفْظِيلًا.

دَلَالَةُ الْوَاوِ:

استِثْلَالُ الْمَعْنَى،
وَإِحْكَامُ التَّقَابُلِ

الواو في قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ هِيَ وَאוُ الْإِسْتِثْنَاءِ، جِيءَ بِهَا؛ لِتَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ جُمْلَةً مُسْتَقْلَةً فِي سِيَاقِ التَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ، لَا مُجَرَّدَ تَفْرِيعٍ عَلَى مَا قَبْلَهُ، فَفَصَّلُهَا بِالْوَاوِ يَجْعَلُهَا كَأَنَّهَا جُمْلَةٌ جَدِيدَةٌ مُنْبِثَةٌ لِإِبْرَازِ الْأَمْرِ الْمُعْلَنِ الْأَعْظَمِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُوَ أَنَّ الْمَلِكَ كُلَّهُ قَدْ تَجَرَّدَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَصَارَتِ الْجُمْلَةُ كَاشِفَةً عَنْ خِلَاصَةِ الْمَقَامِ، بَعْدَ ذِكْرِ عَدَمِ تَمَكُّنِ النَّفْسِ، وَمِنْ بَلَاغَةِ التَّعْبِيرِ بِالْوَاوِ أَنَّهَا أَفَادَتِ مَعَ ذَلِكَ رَابِطًا بَيْنَ نَفْيِ مِلْكِ الْأَنْفُسِ وَثُبُوتِ مِلْكِ اللَّهِ، فَكَانَ التَّقَابُلُ أَوْضَحَ، وَالتَّقْرِيرُ أَشَدَّ.

دَلَالَةُ تَعْرِيفِ (الْأَمْرِ):

إثْبَاتُ الْأَمْرِ
الْمُطْلَقِ لِلَّهِ وَحْدَهُ

تَعْرِيفُ لَفْظِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ هُوَ تَعْرِيفُ الْجِنْسِ، وَالْمُرَادُ بِهِ جِنْسُ الشَّانِ وَالسُّلْطَانِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْكَوْنِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: (وَجَمِيعُ الشُّؤُونِ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ)، وَفِي ذَلِكَ إِشْعَارٌ بِالْإِسْتِغْرَاقِ الْكُلِّيِّ، أَيْ: إِنَّهُ لَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ أَمْرٌ وَلَا تَصَرُّفٌ إِلَّا وَهُوَ خَالِصٌ لِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَهَذَا يُفِيدُ الْقَصْرَ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: (الْأَمْرُ لِلَّهِ لَا لغيرِهِ)، وَفِي ذَلِكَ تَرْبِيَّةٌ لِمَقَامِ التَّهْوِيلِ؛ إِذْ بَعْدَ أَنْ أُبْطِلَتْ أَمْلَاكُ الْأَنْفُسِ جَمِيعًا؛ أُثْبِتَ الْمَلِكُ الْمُطْلَقُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَكَانَ التَّعْرِيفُ بِمَنْزِلَةِ التَّعْيِينِ لِلْمُرَادِ، وَالتَّفْخِيمِ لِشَأْنِهِ.

دَلَالَةُ الْإِضَافَةِ فِي ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

تَفْخِيمُ زَمَنِ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَتَهْوِيلُهُ

إِضَافَةُ الظَّرْفِ (يَوْمٍ) إِلَى الظَّرْفِ (إِذْ)، فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾، هِيَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ بِوَاسِطَةِ، وَهُوَ مِمَّا يُسَمِّيهِ الْبَلَاغِيُونَ بِإِضَافَةِ الْمَبْهَمِ إِلَى مَا يُعَيِّنُهُ، فَإِنَّ (إِذْ) ظَرْفٌ مَجْهُولُ الْمَعْلَمِ، فَإِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ (يَوْمٌ) صَارَ مُحَدَّدًا مُعَيَّنًا،

وَمِثْلُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ تُفِيدُ تَفْخِيمًا لِلزَّمَنِ الْمَعْيَنِ؛ لِأَنَّهُ صَارَ كَأَنَّهُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يَتَعَلَّقُ الذُّهُنُ بغيرِهِ، فَفِي ذَلِكَ تَهْوِيلٌ لِأَمْرِ الْقِيَامَةِ، وَتَأْكِيدٌ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ يَنْقَلِبُ فِيهِ إِلَى مُلْكِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَكَانَ الْمُعْتَبَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ هُوَ ذَلِكَ الزَّمَنُ نَفْسُهُ، حَتَّى جُعِلَ مَعْلَمًا مَعْرُوفًا، تُرْتَقَبُ فِيهِ نَشُورُ الْخَلَائِقِ وَانْقِطَاعُ سُلْطَانِ الْمَخْلُوقِينَ.

بِلَاغَةُ الْإِيجَازِ بِالْحَذْفِ:

يُظْهَرُ إِيجَازُ الْحَذْفِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ مِنْ خِلَالِ التَّنْوِينِ فِيهَا، فَهُوَ تَنْوِينٌ عِوَضٌ عَنْ جُمْلَةٍ مَحْذُوفَةٍ، أَيْ: عَنْ جُمْلَةٍ تَفْسِّرُ مَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْأَطْوَارِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُ بَعْضِهَا، وَهَذَا الْإِيجَازُ بِالْحَذْفِ يُفِيدُ تَهْوِيلًا وَإِرْهَابًا؛ لِأَنَّ السَّمَاعَ يَتَخَيَّلُ مَحْذُوفًا عَظِيمًا لَا تَسَعُهُ الْعِبَارَةُ، فَكَانَ الْمَعْنَى: (وَالْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْهَائِلِ وَالشَّانِ الْجَلِيلِ لِلَّهِ وَحْدَهُ)، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ ذِكْرُ التَّنْوِينِ كَالْتَلْمِيحِ إِلَى أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ يَحْوِي مِنَ الْأَحْوَالِ مَا لَا يُحْصَى، وَأَنَّ تَصَرُّفَ الْأَمْرِ كُلِّهِ يَرْجِعُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ دُونَ غَيْرِهِ.

دَلَالَةُ لَامِ الْجَزْ:

اللَّامُ الْمُقْتَرَنَةُ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ هِيَ لَامُ الاسْتِحْقَاقِ وَالْإِخْتِصَاصِ، أَفَادَتْ مَعَ عُمُومِ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَا أَمْرَ يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْ غَيْرِهِ فِعْلٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ⁽¹⁾، فَهُوَ الْمُخْتَصُّ بِهِ، لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ مُشَارِكٌ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا⁽²⁾، وَفِي اللَّامِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ الْحَقِيقِيَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى، دُونَ مَا يَتَوَهَّمُهُ الْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا مِنْ مَظَاهِيرِ الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ، فَهُوَ إِظْهَارٌ لِحَقِيقَةٍ كَانَتْ ثَابِتَةً فِي جَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ، وَلَكِنَّهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَبْدُو مُعَايَنَةً؛ إِذْ لَا يَبْقَى لِغَيْرِ اللَّهِ سُلْطَانٌ، وَلَا شُبْهَةٌ تَصَرُّفٍ.

شِدَّةُ التَّهْوِيلِ
وَالْتَّخَوُّيفِ فِي
يَوْمِ الْقِيَامَةِ

يُظْهَرُ يَوْمَ الدِّينِ
أَنَّ الْأَمْرَ لِلطَّلَاقِ
لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَيْسَ
لِغَيْرِهِ مِنْهُ شَيْءٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 185/30.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 352/8.

دَلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِاسْمِ الْأُلُوْهِيَّةِ:

جاءَ التَّعْبِيرُ بِاسْمِ الْأُلُوْهِيَّةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ دُونَ أَنْ يُقَالَ: (لِلرَّبِّ)؛ لِمَا فِي الْأَسْمِ (اللَّهُ) مِنْ دَلَالَةٍ الْاسْتِغْرَاقِ وَالْانْفِرَادِ بِالْمَعْبُودِيَّةِ، فَهُوَ أَنْسَبُ بِمَقَامِ التَّهْوِيلِ؛ لِإثْبَاتِهِ أَنَّهُ لَا يَتَجَلَّى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُلْطَانٌ وَلَا مَرْجِعٌ إِلَّا لِلْمَعْبُودِ الْحَقِّ، أَمَّا لَفْظُ (الرَّبِّ)؛ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ فِيهِ مَعْنَى التَّدْبِيرِ وَالرَّعَايَةِ، وَهُوَ أَوْفَقُ بِمَقَامِ الْإِنْعَامِ وَالتَّرْبِيَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ أَوَّلَ السُّورَةِ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا عَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾، فَاخْتِيَارُ اسْمِ الْجَلَالَةِ هُنَا يُشْعِرُ بِانْقِطَاعِ الْعَلَائِقِ وَتَعْطِيلِ كُلِّ سُلْطَانٍ وَمَرْجِعٍ، حَتَّى لَا يَبْقَى إِلَّا مَقَامُ الْمَعْبُودِ الْمُطْلَقِ، الَّذِي يَخْضَعُ لَهُ الْخَلْقُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ؛ لِيَتَضَمَّنَ تَهْدِيدًا عَظِيمًا لِلْعَصَاةِ⁽¹⁾.

بَلَاغَةُ التَّذْيِيلِ:

جاءَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ فَاصِلًا لِهَذِهِ السُّورَةِ وَخِتَامًا لَهَا، تَوْجِزُ مَعْنَاهَا، وَتَضُمُّهُ تَحْتَ قَاعِدَةٍ كَلِّيَّةٍ، فَقَدْ ذُكِرَ أَوَّلًا أَنَّهُ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا، وَهُوَ مَثَلُ بَيِّنٍ انْقِطَاعِ أَوَاصِرِ الْمُلْكِ وَالْمَنْفَعَةِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، ثُمَّ اتَّبَعَ ذَلِكَ بِالْقَاعِدَةِ الْمُجْمَلَةِ: أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَالْتَّذْيِيلُ هُنَا يُفِيدُ تَأْكِيدَ الْمَعْنَى وَتَعْمِيمَهُ، وَيَرْفَعِي بِالتَّصْوِيرِ مِنْ مَجَرَّدِ نَفْيِ الْمُلْكِ عَنِ النُّفُوسِ، إِلَى إِثْبَاتِ الْمُلْكِ الْمُطْلَقِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَهُوَ مِنْ بَلَاغَةِ الْإِيْجَازِ الَّذِي يُعْنِي عَنِ الْإِطْنَابِ، فَكَانَتْ جُمْلَةُ الْفَاصِلَةِ هُنَا خَاتِمَةً تُلَخِّصُ مَقْصُودَ الْمَقَامِ، وَتَتَضَمَّنُ تَهْوِيلًا وَتَحْذِيرًا.

بَلَاغَةُ التَّضْدِيرِ:

جاءَتِ جُمْلَةُ: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ فِي خِتَامِ السُّورَةِ، وَفِيهَا رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ السُّورَةِ ابْتَدِئَ بِالْخَبَرِ عَنْ بَعْضِ أَحْوَالِ

تَفَرُّدُ اللَّهِ
شُبْحَانَهُ
بِالسُّلْطَانِ
الْمُطْلَقِ

تَفَرُّدُ الْمُلْكِ
الْمُطْلَقِ لِلَّهِ، بَعْدَ
نَفْيِ شَيْءٍ مِنْهُ
عَنِ الْمَخْلُوقِينَ

تَضْرِيحُ الْعَجْزِ
بِمَا جَاءَ تَصْوِيرُهُ
فِي الصَّدْرِ

(1) ابن عادِل، اللَّيَاب: 206 / 20.

يَوْمَ الْجَزَاءِ، وَخُتِمَتِ السَّوْرَةُ بِبَعْضِ أَحْوَالِهِ⁽¹⁾، وهو على وَجْهِ مِنْ النَّصْدِيرِ؛ إِذْ رُدَّ آخِرُهَا إِلَى أَوَّلِهَا؛ فَإِنَّ السَّوْرَةَ فُتِحَتْ بِذِكْرِ انْفِطَارِ السَّمَاءِ وَانْتِثَارِ الْكَوَاكِبِ وَتَفْجِيرِ الْبِحَارِ، وَهُوَ مَشْهُدٌ يُصَوِّرُ تَلَاشِي النِّظَامِ الْكَوْنِيِّ الَّذِي كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ، ثُمَّ خُتِمَتْ بِذِكْرِ أَنَّ الْأَمْرَ يَصِيرُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَكَانَ فِي ذَلِكَ رَدٌّ لِلْخَاتِمَةِ عَلَى الْمَفْتَتَحِ؛ إِذْ مَا بَيْنَ انْفِطَارِ السَّمَاءِ وَزَوَالِ الْكَوَاكِبِ وَتَبَدُّدِ الْبِحَارِ إِلَّا إِعْلَانٌ أَنَّ الْأَمْرَ الْمَطْلُوقَ يَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهِ الْحَقِّ، وَهَذَا الضَّرْبُ مِنَ التَّرْكِيبِ يُفِيدُ إِحْكَامَ الْبِنَاءِ الْبَلَاغِيِّ، وَيُرْسِّخُ الْمَعْنَى فِي النُّفُوسِ بِحُسْنِ الْخِتَامِ عَلَى نَفْسِ الْقَاعِدَةِ الَّتِي بُدِئَ بِهَا، فَيَكُونُ السِّيَاقُ كَالدَّائِرَةِ الَّتِي يُطَوِّقُ أَوَّلُهَا بِآخِرِهَا، وَذَلِكَ مِنْ بُلُوغِ الْبَلَاغَةِ غَايَتَهَا.

دَلَالَةُ التَّقْيِيدِ بِالظَّرْفِ:

قَيَّدَ الْأَمْرُ لِلَّهِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ - مع أَنَّ الْأَمْرَ لَهُ فِي كُلِّ الْأَزْمَانِ وَالْأَحْوَالِ، يَتَصَرَّفُ فِي خَلْقِهِ بِمَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَلَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ - لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ شَيْئًا، وَيَمْلِكُونَ فِيهَا بَيْنَهُمُ الضَّرَّ وَالنَّفْعَ؛ لَكِنَّ هَذَا الظَّاهِرَ مِنْ أَمْرِهِمُ الدُّنْيَوِيِّ لَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ فِي الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾⁽²⁾.

ظُهُورُ حَقِيقَةِ
الْأَمْرِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 185 / 30.

(2) عبد الكريم الخطيب، التفسير القرآني: 1485 / 10.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعات من الآية 27 إلى سورة الأعلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-643-45-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"